



مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الكتاب الكريم : مُلك النبوة [1] مجمع الحق والخير , ومظهر الجمال والقوة , المقسم الخامس

الآية الثامنة وهي : 22 من سورة النمل

<<فمكث غير بعيد , فقال أحطت بما لم تحط به , وجئتكم كم سببا بنبا يقين >>

المألفاظ والتراكيب :

مكث : أقام , وقرأ عاصم بفتح الكاف , غير : صفة زمان محذوف , قالتقدير : زمانا غير بعيد , فاعل مكث هو المههد مثل فاعل قال الآتي , أحطت , لإحاطته بالشيء , عقليا هي العلم به من جميع زواحيه , سبأ : اسم مدينة باليمن سُميت باسم سبأ جد العرب اليمنية حمير وغيرها وصرفه المحهور على اعتبار المكان ومنعه من الصرف المكثي والبصري على اعتبار البلدة , بنبا : النبا الخبير الذي له شأن وخطورة , والميقين : المحقق جعله نفس الميقين مُبالغة في تحققه , وفي الكلام إيجاز بالحدف إذ المعنى فجاء الهدد فسأله سليمان صلى الله عليه وسلم عن مغيبه فقال .

المعنى :

لم تطل غيبة الهدد عن مركزه في جُود سليمان , فلم يلبث في غيبته إلا زمانا قصيرا , وكان سؤال سليمان له عن غيبته فور رجوعه , فأسرع بالجواب والاعتذار عن الغيبة والدفاع عن نفسه , فقال : اطلعت على شيء لم تطلع أنت عليه وعرفتُه من جميع زواحيه , وقد أتيتك من بلدة سبأ بخبر خطير ذي شأن عظيم تيقنته غاية الميقين .

توجيه واستنباط :

كان في جواب الهدد حجة بيّنة لسبب غيابه ، وذلك لأنّه لم يذهب عابثاً ولما لغرض خاصّ به ، وإنّ ما ذهب مُستطلعاً مُكتشفاً فحصل علماً وجاء بخبر عظيم في زمن قصير فرجحت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المُواخذة .

فإن قيل إنّ أصل مُفارقته لمركزه دون استئذان كان مُخالفة يستوجبُ عليها العُقوبة ، فالجواب أنّ هذه المُخالفة كانت لقصد حسن وهو الاستطلاع وأثمرت خيراً فاستحقّ العفو عن تلك المُخالفة التي كانت عن نظر ولم تكن عن تهاون وانتهاك للحُرمة .

فإن قيل ما الذي أوقع في نفس الهدد رغبته في طلب ما طلب ، فالجواب أنّه يجوزُ أن يكون شاهدُ عمران الميمن من مكان بعيد ببصره المحاد فرغب في المعرّضة أو أن يكون قد مرّ بالميمن من قبل ولم يتحقق من حالها فأراد أن يتحقق . وهذه الآية مأخذ من مأخذ الأصل المائل : إنّ المُخالف للأمر عن غير انتهاك للحُرمة لا يُؤخذ بتلك المُخالفة ، ومن فروع هذا الأصل سُقوط الكفارة عمّن أخطأ في رمضان مُتعمداً مُتأولاً تأويلاً قريباً .

عزّة العلم وسُلطانُه :

ابتدأ الهدد جوابه مُعتزاً بما أحاط به من العلم مُتجملاً بما حصل منه مظهرًا لارتفاع منزلته به مُتخصّصاً به من العقاب ، ولم تمنعه عظيمة سُليمان صلى الله عليه وسلم من إظهار علمه وإعلان اختصاصه به دون سُليمان .

أدب واقتداء :

قد سمع سُليمان هذا من الهدد وأقرّه عليه وقلصّ غير أن يقول للكبير وللحقير أن يقول للجليل علمتُ ما لم تعلم وعندي ما ليس عندك إذا كان من ذلك على يقين وكان لقصد صحيح ، ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيراً جليلاً أن يتقبل ذلك ولا يُبادر برده وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يرده بعد النظر والتأمّل ، إنّه قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقّرها من يُحيط علماً بما لم يُحط مثل سُليمان صلى الله عليه وسلم في علمه وحكمته واتساع مدرّكاته ، وكفى بمثل هذا زاجراً لكلّ ذي علم عن الإعجاب بعلمه والاعتزاز بسعة اطلاعه والمترفع عن الاستفادة ممّن دونه .

مدرك عقيدة :

لا يعلم أحدٌ من الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام ممّا غاب عنه إلّا بإعلام الله ، فليس لهم كشف عام عن جميع ما في الكون وإنّ ما يعلمون منه ما أطلعهم الله عليه ، ومن مدارك ذلك هذه القصّة فإنّ سُليمان صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم من مملكة سبأ شيئاً حتّى أطلعه الله عليه بواسطة الهدد ، وإذا كان هذا حال الأنبياء صلى الله عليهم وسلم فغيرهم من عباد الله الصّالحين من باب أخرى وأولى .

تحقيق تاريخي:

رويت في عظم مُلك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصّحّة ومُعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كُتُب التفسير ممّا تلقى من غير تثبّت ولا تمحيص من روايات كعب الأحبار ووهب بن مُنبّه، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مُستدرّكه وصرّح المذهبي ببطلانه، ومن هذه المبالغات الباطلة أنّه ملك الأرض كلّها مشارقتها ومغاربها فهذه مملكة عظيمة بسيا كانت مُستقلّة عنه ومجهولة لديه على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام .

[1]: مجلة الشّهاب، المجلّد المسادس من المجلّد الخامس عشر .